الباب الرابع

منهجه في النبوات والمعاد

وفيه تمهيد وثلاثة فصول :

التمهيد : مقدمة حول الغيب .

الفصل الأول : الإيمان بالملائكة والكتب وما يتعلق بها .

الفصل الثاني : الإيمان بالأنبياء والرسل .

الفصل الثالث : الإيمان بالمعاد واليوم الآخر .

obeikandl.com

التمهيد

مقدمة حول الغيب

لما كانت قضايا هذا الباب متعلقة بمسائل النبوات والمعاد ، وهي من الأمور الغيبية، يحسن وقبل الدخول في تفاصيلها أن أنقل كلامًا نفيسًا لسيد قطب -رحمه الله- حول قضية الإيمان بالغيب يقول فيه : " ليس من مستلزمات الخلافة - في الأرض- أن نطلع على هذا الغيب، وبقدر ما سخر الله للإنسان من النواميس الكونية وعرَّفه بأسرارها ، بقدر ما حجب عنه أسرار الغيب فيما لا جدوى له في معرفته ، وما يزال الإنسان مثلًا على الرغم من كل ما فتح له من الأسرار الكونية يجهل ما وراء اللحظة الحاضرة جهلًا مطلقًا ، ولا يملك بأي أداة من أدوات المعرفة المتاحة له أن يعرف ماذا سيحدث له بعد لحظة ، وهل النَفَس الذي خرج من فمه عائد أم هو آخر أنفاسه ؟ ، وهذا مثل من الغيب المحجوب عن البشر، لأنه لا يدخل في مقتضيات الخلافة ، بل ربما كان معوِّقًا لها لو كشف للإنسان عنه ! وهنالك ألوان من مثل هذه الأسرار المحجوبة عن الإنسان في طي الغيب الذي لا يعلمه إلا الله .

ومن ثم لم يعد للعقل البشري أن يخوض فيه ، لأنه لا يملك الوسيلة للوصول إلى شيء من أمره، وكل جهد يبذل في هذه المحاولة هو جهد ضائع ، ذاهب سُدى، بلا ثمرة ولا جدوى .

وإذا كان العقل البشري لم يوهب الوسيلة للاطلاع على هذا الغيب المحجوب، فليس سبيله إذن أن يتبجح فينكر، فالإنكار حكم يحتاج إلى المعرفة، والمعرفة هنا ليست من طبيعة العقل، وليست في طوق وسائله ، ولا هي ضرورية له في وظيفته.

إن الاستسلام للوهم والخرافة شديد الضرر بالغ الخطورة، ولكن أضر منه وأخطر، التنكر للمجهول كله وإنكاره ، واستبعاد الغيب لمجرد عدم القدرة على الإحاطة به، إنها تكون نكسة إلى عالم الحيوان الذي يعيش في المحسوس وحده ، ولا ينفذ من أسواره إلى الوجود الطليق .

فلندع هذا الغيب إذن لصاحبه ، وحسبنا ما يقص لنا عنه ، بالقدر الذي يصلح لنا في حياتنا ، ويصلح سرائرنا ومعاشنا، فذلك وحده أنفع للبشرية وأهدى "[١].

ويقول أيضًا: " هذا الكتاب الذي أنزله الله على نبيه محمد - ﷺ - يتضمن حقائق التصور الإيماني ومنهاج الحياة الإسلامية ، ويتضمنّ كذلك أمورًا غيبية لا سبيل للعقل البشري أن يدركها بوسائله الخاصة ، ولا مجال له لأن يدرك منها أكثر مما تعطيه النصوص بذاتها .

فأما الأصول الدقيقة للعقيدة والشريعة فهي مفهومة المدلولات، قاطعة الدلالة، مدركة المقاصد وهي أصل هذا الكتاب ، وأما السمعيات والغيبيات... فقد جاءت للوقوف عند مدلولاتها القريبة والتصديق بها لأنها صادرة من هذا المصدر " الحق" ويصعب إدراك ماهيتها وكيفيتها، لأنها بطبيعتها فوق وسائل الإدراك الإنساني المحدود "[٢].

" والإيمان بالغيب هو العتبة التي يجتازها الإنسان ، فيتجاوز مرتبة الحيوان الذي لا يدرك إلا ما تدركه حواسه ، إلى مرتبة الإنسان الذي يدرك أن الوجود أكبر وأشمل من ذلك الحيز الصغير المحدود الذي تدركه الحواس، وهي نقلة بعيدة الأثر في تصور الإنسان لحقيقة الوجود كله،وحقيقته هو وما حوله من القوى، وفي إحساسه بالكون وما وراء الكون.. وعندئذ تصان الطاقة الفكرية المحدودة المجال عن التبدد والانشغال بما لم تخلق له ، و لم توهب القدرة للإحاطة به ،.. وعدم إدراك المجهول لا ينفي وجوده في ضمير الغيب المكنون ، وعليه أن يكل الغيب إلى صاحبه، وأن يتلقى العلم في شأنه من العليم الخبير الذي يحيط بالغيب والشهادة، وبالتالي كان الغيب هو مفرق الطريق في ارتقاء الإنسان عن عالم البهيمة "[٣].

" إن العقيدة التي لا غيب فيها ولا مجهول، ولا حقيقة أكبر من الإدراك البشري المحدود، ليست عقيدة، ولا تجد فيها النفس ما يلبي فطرتها، وأشواقها الخفية إلى المجهول المستتر وراء الحجب المسدلة، كما أن العقيدة التي ليس فيها إلا المعميات

---

(١) في ظلال القرآن ١/ ٥٩ وينظر أيضًا ١/ ٤،٥٢٥ / ٢١٣٨ ، ٥/ ٢٦٦١ .

(٢) في ظلال القرآن : ١/ ٣٦٩ .

(٣) المصدر السابق : ١/ ٣٩- ٤٠ بتصرف ، وينظر : ١/ ٤٠٣ ، ٢/ ٩٨٦ ، ١٠٤٢ ، ١٠٤٤ ، ١١١٣- ١١١٤ ، ٣/ ١٣٥٧ ، ١٤٨٦ ، ١٦٩٦ ، ومقومات التصور الإسلامي : ص ٤٣ .

التي لا تدركها العقول ليست عقيدة ! فالكينونة البشرية تحتوي على عنصر الوعي، والفكر الإنساني لابد أن يتلقى شيئا مفهومًا له، له فيه عمل، يملك أن يتدبره ويطبقه، والعقيدة الشاملة هي التي تلبي هذا الجانب وذاك .. وهذه إحدى خواص العقيدة الإسلامية "[١].

وهذا الباب يشتمل على قضايا النبوات وما يتعلق بها ، واليوم الآخر وما يتعلق به :

فالإيمان بالنبوات يشمل: الإيمان بالملائكة، والكتب السماوية،والأنبياء والرسل .

أما الإيمان باليوم الآخر: فيشمل قضايا الآخرة، من الموت وحتى الاستقرار في الجنة أوفي النار. وهذه القضايا من أصول الإيمان التي وردت في الكتاب والسُّنَّة، قال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾[٢].

وقال ﷺ حين سأله جبريل - عليه السلام - عن الإيمان :" الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله ، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره "[٣].

فلا يكون العبد مؤمنًا إلا بأن يؤمن بهذه الأركان جميعًا، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾[٤].

وقد تكلم سيد - رحمه الله - على هذه الأركان الأربعة من أركان الإيمان، وتطرق إلى عدة مسائل مما له صله بها، كالإيمان بوجود الجن والشياطين، حيث رأيت أن أذكر ذلك في هذا الفصل لمناسبة سأشير إليها فيما بعد .

وعلى هذا فمنهج - سيد قطب - رحمه الله - في النبوات والمعاد يتضح من خلال الفصول الآتية:

(١) خصائص التصور الإسلامي : ص١٢٠.
(٢) سورة البقرة الآية:٢٨٥ .
(٣) جزء من حديث جبريل الطويل والحديث رواه البخاري ومسلم وقد سبق تخريجه ص ٣٠٥.
(٤) سورة النساء الآية:١٣٦ .